ولكنني لم اقتنع بالعهد الذي اتخذه مرزوق ، فهو مزيج من الغباء والاخلاص الذي يتميز به العبد المسود .

ودخل الى الديوان ، واعلنت امامهم ان مرزوق اتخذ عهدا على نفسه بالالتزام معكم حتى النهاية !!

ورجعت حيث كنت اجلس ، والتفت الي المختار قائلا : غدا سنذهب ثلاثتكم وانا الى القدس لنوكل اثنين من المحامين احتياطا لتطور الامور ولربما احتجنا اليهم من الناحية القانونية ، وسأضمن تبرع المحامين للدفاع عن قضيتكم العادلة . في نفس الوقت يخرج الجميع رجالا ونساء ، اطفالا وشيوخا الى الارض الطيبة ، ليرفعوا عنها هشيم البوار ، ويزيلوا من على وجهها الجميل الشقوق والطفيليات ، ليحرروها ومن ثم يملكونها .

يوم الجمعة بعد عودتنا من القدس وعندما اطللنا على السهل من بعيد ، كانت أعمدة الدخان ترتفع الى عنان السماء ، كأنها اشارات تعلن قيام الثورة بل بالفعل كانت كذلك . وعندما وصلنا السهل المرتفع كانت القرية تنتشر على الارض ! التراكتورات تمخر أمواج النتش التي تشوه وجه الارض ، ومن ورائهم البغال بمحاريث نوح تمهد الاثلام الواسعة ، وبعض الرجال يعمرون الجدران التي انهالت متباكية على الايدي التي افتقدتها منذ سبع سنوات ، ولم تعد تضع حجارتها في مواقعها ، لقد اضعف غياب الاحبة مقاومتها للسيول والامطار فتقدت مناعتها ضد الغزو ، والنساء تجمع النتش والاعشاب الطفيلية وتحرقها ، والاطفال من وراء أساتذتهم ومديرهم يحملون الحجارة الصغيرة وكأنها بثور حب الشباب على وجه حبيبة جميلة ، فيزيلونها ليعيدوا الابتسامة الضاحكة على الثغر الباسم . والجميع ينشدون ويغنون .

لقد تحققت المعجزة . وتحول الخوف الى تحد للأفندي وللسلطة المحتلة وللسمسار . فجأة خيم صمت رهيب ، توقفت الاغاني والاهازيج ، ونظر الجميع من حولهم ، فرأوا سيارة مرسيدس بيضاء تبصق من داخلها الاقطاعي الافندي وبعضا من رجاله .

لقد أخبرهم مرزوق اللعين !!

ولكن الحاج اسعد صاح : استمروا استمروا . وكأنه أطلق اشارة السبق ، فعادت الاهازيج ، وعاد صوت الصغار مع صوت دقات الحجارة الصغيرة وهي تتساقط فوق بعضها البعض في قفف الصغار ، وعادت التراكتورات بعجلاتها تدور ، وسكتها تخترق بكارة الارض العذراء .

وتصدى المختار ، وكان قد نزع عباءته ، ولف كوفيته من حول رأسه حتى لا تعيق عمله ، تصدى للأفندي ، وربما لأول مرة في حياته .

ـ نعم ؟! ماذا تريد ؟

ـ ويحكم ماذا تعملون ، قالها الافندي وصوته الحاقد يترجرج .

ـ نفلح أرضنا التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا . والمغموسة بعرق ودماء ابطالنا . والتي أمضينا واياها زهرة العمر ، وريعان الشباب .